الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

تداولية التأويل في الخطاب الروائي العربي المعاصر قراءة في متضمنات القول (مرافئ الحب السبعة نموذجا)

Interpretation Pragmatic in the arabic Modern Narrative Discours Reading in Presupposition (Seven Love Ports Model)

[أ]د.جميلة روقاب، [ب]د. محمد حـاج هنّي
[أ] أستاذة محاضرة(أ)- بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون-جامعة الشلف | d.rougab@univ-chlef.dz
[ب] أستاذمحاضر(أ)- بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون-جامعة الشلف | m.hadjhenni@univ-chlef.dz

ملخص

إنّ "فعل التأويل" هو الأساس الذي تقوم عليه عملية التخاطب بوجه عام، فدينامية اللغة مرهونة به، وقد أحسّ رواد نظرية الأفعال الكلام بقيمة ذلك وطرحوا أسئلة متنوّعة حول طبيعة هذا الفعل كيف يتم إعطاء التأويل المقصود للفعل الكلامي في الخطاب الروائي؟ ثم في حالة تضمين أو اقتضاء قوة إنجازية غير مباشرة ما انطلاقا من معطيات أخرى تقتضيها الصيغة اللغوية كيف يتم الوصول إلى ذلك؟ وما طبيعة العلاقة بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم من القول ؟ تأسيسا لهذا الغرض تسعى هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على تداولية التأويل من خلال الأفعال الكلامية المجسدة في الخطاب الروائي العربي المعاصر في مرافئ الحب السبعة لعلي القاسمي، من أجل بيان صلة الرحم العلمية بين هذه النظرية اللغوية والنص الأدبي الروائي.

الكلمات الدالة: التأويل، الخطاب، الفعل الكلامي، الرواية، الافتراض المسبق.

Abstract

The Act of interpretation' is the basis of a conversation of the process in general, the subject of language, pioneers of the theory of locutionnaires acts: how to give an interpretation of verbal narrative discours already? So if include you or require strength accomplished indirectly what other data required by the language how to get it? And what is the nature of the relationship between Frank and meaning on the conscience to say? for this occasion, this paper aims to highlight the dangers of pragmatics by acts loccutifs embodied in the contemporary discourse of Arab novelist in seven love Ali el Kassemi ports, in order to take account of the relative scientific between this theory of the novelist linguistic and literary text.

Key words: *Interpretation, Discours, Speech Act, Account, Presupposition.*

مقدمة

يحتلّ تداول الخطاب الروائي موقعا مميّزا في الدراسات النقدية الحديثة التي تندرج ضمن مجالات تحليل الخطاب، وعلم النص واللسانيات التداولية، فانطلاقا من التصورات التي تعتمد عليها نظرية الأفعال الكلامية؛ يمكن لتداولية الخطاب أن تكتسب قدرة التأويل، وقدرة المقاربة إذ غالبا ما نصنع شيئا من خلال قول ما، أو بفعل قول شيء ما، ولعلّ الإشكالية المطروحة في هذه الورقة البحثية هي كالتالي: كيف يحفظ الكاتب في باله دائما توقعات المستمع أو المتكّلم؟ وهل يفلح القارئ أو المستمع في تأويل فهم المقولات؟ من جهة أخرى، إذا تم الالتزام بما يعرفه المستمع أو القارئ فهل سيعود هناك الكثير من الفائدة الممكن توقعها من هذا الاتصال أصلا؟ هل تكفي الجمل و الملفوظات بعامة لتحليل بنية الخطاب الروائي بوصفها وحدات صغرى لتحقيق التواصل وفعالية الحوار؟ وهل يعني الحوار الروائي للشخصيات تطابق وانصهار الهويات في بوتقة واحدة؟ أم أنّه يكتسي حيويته من الاختلاف والتنوع؟ ومنه قد يطرح تساؤل آخر: كيف يتم تأويل الأقوال التي تحقق النجاح في الفعل الكلامي؟ وإن تعدّدت التأويلات أيها المقصود؟ وما الضوابط التي تحكم ذلك؟ وفي ذلك إشارة إلى أنّ تأويل الفعل الكلامي لا يتم إلا وفق آليات معينة، وانطلاقا من مؤشّرات تسهم في خلق الفعالية من أجل ضبط القوة الإنجازية المقصودة، وفي هذا المسعى محاولة لإبراز خصوصية تداولية التأويل التي تتجّلى في الخطاب الروائي العربي المعاصر، حتّى يفهم عبرها الآليات اللسانية والتداولية للتأويل التي تتحكم فعلا في تحقيق الأفعال الكلامية أثناء التخاطب.

1ـ في مفهوم التداولية

أ ـ التعريف اللغوي

تطالعنا المعاجم العربية بمعان متعددّة للجذر اللغوي (دول)، وقد تراودت في جلّ معانيها للدلالة على التحوّل والتبدّل، فقد أبان عن هذا المعنى صاحب لسان العرب: " تداولنا الأمر؛ أخذناه بالدّول، وقالوا: دواليك؛ أي مداولة على الأمر، ودالت الأيّام؛ أي دارت، والله يداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[1]، ومعنى كلام ابن منظور أنّ التداولية تتجلّى في الكلام المتبادل بين مستعملي اللغة، وما تعتريه من تغيّرات تتماشى والسياق الذي وردت فيه.

بـ التعريف الاصطلاحي

إذا كانت التداولية مذهبا لسانيّا معاصرا، "يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات، والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة" [2] إذا تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية معا، فالظاهر أنّ التداولية تقوم على دراسة اللغة بين بني البشر يتمّ على إثرها التفاعل التخاطبي بين المتكلمين والمستمعين بغية التواصل، وتأدية أغراضهم ومقاصدهم المختلفة.

2ـ وظائف التداولية

اهتمت التداولية بأكثر من جانب في اشتغالاتها العلمية على الخطاب أو النص، وبالنظر إلى هذه الجوانب التي هي أربعة مسارات علمية لكلّ واحد منها دراسته الخاصة بها؛ لذا فهي مسارات معرفية تنتج من منطلق الإشارات النصية والافتراض المسبق للنص والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية [3]

وتتلخص مهام التداولية في الوظائف التالية:

- إنّها دراسة استعمال اللغة

- التداولية تقوم على دراسة اللغة عند مستخدميها في الطبقات المقامية المتباينة.

- تعتبر كلاما محدّدا هو صادر عن متكلم محدد، وموجّه إلى مخاطب محدّد بلفظ محدّد في مقام تواصلي محدّد، لتحقيق غرض تواصلي محدّد [4]

- يسعى التحليل التداولي لمراعاة ذهنية السامع(المتلقي) أثناء عملية التخاطب.

- يركز التحليل التداولي على السامع أثناء حلقة التخاطب من خلال الأفعال الكلامية.

وعليه تسعى التداولية لتحقيق العملية التواصلية؛ مع مراعاة الظروف المحيطة بالتفاعل التخاطبي والمقام الذي يصدر فيه الحدث والإنجاز الكلامي، فلكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، ونيّة يريد تجسيدها، وهذا يعني أنّ كلّ فعل كلامي يفترض فيه وجود قصدية التواصل والإبلاغ التي لابدّ أن تكون صادرة عن وعي ودراية؛ فلا تواصل دون قصدية، فمن هذه السمات التي ينطوي عليها التحليل التداولي انبثقت عنه مفاهيم رئيسة قامت عليها النظرية التداولية ككل.

3ـ الحوار والخطاب الروائي

أ ـ تعريف الحوار

ـ لغة

تطالعنا المعاجم اللغوية بتعاريف مختلفة للحوار، فأصل الكلمة هو : الحاء الواو الراء ... وقد بين ابن فارس في معجمه أنّ: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورًا [5]

ـ اصطلاحا

هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب [6]

وهو أيضا محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى

الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدًا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر [7]

ب-أقسامه

ينقسم الحوار من ناحية الشكل إلى قسمين هما: الحوار الهادئ العقلاني المبدئيّ، والحوار المتشنج المعتمد أساسا على الصراخ، أمّا من حيث المضمون فنجد الحوار المتفتح وضدّه الحوار المتزمت؛ ذلك النوع القائم على المهاترة لا الرغبة في الفائدة وإذا رمنا الحديث عنه من منظور الشخصيات أو الأشخاص، نلفيه محصورا بين العاقل والجاهل، أو بين الشيوخ والشباب، بين الحاكم والمحكوم، وحتّى بين المتخصصين وغير المتخصصين؛ وينبغي في كلّ حال من الأحوال احترام عقول الآخرين، واحترام قدر الحكام دون التنازل عن الموضوعية وإخلاص النصيحة بين الطرفين [8]

ج- بين الحوار والرواية

إنّ لغة الحوار الروائي مستوى من مستويات التعبير اللغوي للروائي يديره وفق لعبته الروائية من ناحية طبيعة العمل الروائي وطبيعة الشخوص وطبيعة الأغراض الفنية والفكرية. وإذا كان المعول في ضمانة مستويات التعبير اللغوي هو الصدق الفني، فإن الصدق الفني قرين الصدق التاريخي، ولا يتأتى الصدقان معاً إلا في مهارة التعبير اللغوي بمستوياته المختلفة. وقد ثبت صلاح اللغة العربية لتحديث الأجناس الأدبية، بل إن إنجازات كثيرة من الروائيين العرب كامنة في تطويع اللغة العربية لحاجات هذه المستويات اللغوية، حواراً أو سرداً، والمثال البارز هو نجيب محفوظ الذي يقدم في رواياته مأثرة لاستخدام اللغة العربية بمستوياتها الحوارية والسردية والوصفية على أن الرواية استعارة للحياة ضمن لغتها وعوالمها وثرائها الفريد [9]

إنّ الحوار (Dialogue) هو "مصطلح يدلّ على تبادل الحديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية" [10] ، ولا تكاد تختلف المعاجم الأدبية في تعريفه على أنّه" تبادل الحديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية" [11]

ويمكن القول بأنّ الرواية فنّ من الفنون الأدبية تشترك مع القصة و المسرحية في جميع الخصائص الفنية، وما يميّزها عنها اقتصارها على توظيف أساليب الحوار تارة والسرد تارة أخرى؛ سواء أعدت الرواية للقراءة أو التمثيل، فإنّ الحوار هو أحد أهمّ أدواتها المعتمدة في بناء هيكلها العام، ولكي يكون الحوار الأدبي(الروائي) ناجحا لابدّ أن يتوافر على عدّة شروط، أهمّها:

- مطابقته للشخصيات.
- سهولة الحوار حتّى يتسنّى للجميع فهمه في يسر.
- الحيادية فلا تطغى روح المؤلف عليه طغيانا يفسده.
- التوافر على إيقاع موسيقي مناسب.
- ارتفاعه من حيث قوّة الأداء، ومن حيث العمق عن الأحاديث العادية.
- حسن تسلسله وجودة ابتدائه واختتامه[12] بالإضافة إلى شروط أخرى لكنها مجرد شروط سياقية.

4- مقصدية الفعل الكلامي

ثمة علاقة وطيدة بين طبيعة التأويل والفعل الكلامي؛ إذ يعتبر "فعل التأويل" الأساس الذي يُكشف من خلاله عن القوة الإنجازية، ويتأسّس انطلاقا من مبادئ محدّدة تحدث عنها التداوليون، وحصروها في قيام الفعل الكلامي على محتوى اصطلح عليه بالمحتوى القضوي المقدّم للفهم والتأويل، واعتماده في الأساس على فعل كلامي معيّن، وبمقام ما يسهم بمعطياته في إنتاجه، وكلّ ذلك هو من قبيل المؤشرات لضمان فعل التأويل، ويبنى في أحايين كثيرة على المقصد بشكل مباشر، وقد يومئ إليه وفق ضوابط استدلالية معينة.

فالبحث عن المعنى الحقيقي للملفوظ ما، هو في الحقيقة بحث عن القصد من وراء التلفظ به" فالمعنى مركب عادة من المعنى المقصود والمعنى المتلفظ"[13]، وفي هذا التركيب إماءة عن حقيقة المعنى ذاته ما هو؟ وكيف السبيل إلى تمييزه عن سائر المعاني الأخرى؟ وكيف نحاصره في سياق الكلام؟ وأنّى لنا أن نصدق أو نكذب قائله؟ومن المعلوم أنّ فعل التأويل قد يتعدّد باعتبار أنّ هناك معنى للمنطوق، ومعنى آخر للناطق، وهناك معنى في مناسبة، وهناك معنى خالد (أو لا يخضع للزمن)[14]؛ فمقصدية الفعل الكلامي بخاصة وتداولية الخطاب الروائي بعامة تنظر إلى "اللسان والمنطق على أنّهما قوام حاجة المرء في المذاكرات، فيستظهر بهما أوان المجاولة في رحاب المجادلة والمصاولة في ساحة المقاولة"[15]

5- تداولية الخطاب الروائي وآليات تأويله

يعود استعمال هذا المصطلح إلى باختين 1978 الذي يعرفه باعتباره ظاهرة اجتماعية لا ينفصل فيها الشكل عن المضمون[16] فليس الخطاب في الرواية شكلا محضا وليس مجرد حامل لأبعاد أيديولوجية بل هو خطاب أدبي من أبرز خصائصه أنه كلام معقد البناء، ووجه التعقيد فيه أنّه ظاهرة متعددة الأساليب واللغات والأصوات فالخطاب الروائي خطاب إنشائي وإنشائيته ليست منحصرة في ظاهرة شكلية وأصوات متعددة وأساليب شتى. فكل ملحوظ مسكون بأصداء استعمالات له مختلفة في سياقات أخرى تتفاعل في الرواية فتكون ماهيته الأدبية وهذا ما يسميه "باختين" الحوار الداخلي للخطاب وبهذا المفهوم للخطاب يتسع مجال الرواية.

إن الهدف الجوهري من الممارسة النقدية وفق مناظير المناهج النسقية الحديثة هو تحليل الخطابات الأدبية، وإعادة نسجها بما أتيح لها من أدوات إجرائية، ومفاهيم غربية مكتسبة، وبالتالي فالمقاربات النقدية التي تناولت الخطاب الروائي الأدبي

على وجه الخصوص، قد أخذت منحى جديدا استخدمت فيه شتّى المناهج النقدية والنظريات اللغوية، وذلك قصد الوقوف على قصوره وضبط مساره، ولما كانت التداولية تعنى بدراسة العلاقة القائمة بين اللغة (النص)، والمتلقي محاولة إعادة الاعتبار له فهي تركز على العامل الذاتي في النص، وهو ما أقصته البنيوية التي اكتفت بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

لهذا الغرض رأى التداوليون أن اللغة كنص فيها فراغات عديدة، مما يحوجها فعلا إلى عمليات استدلالية، منها: المعرفة، الإدراك، الرغبة، التأويل، القصد...إلخ، يمكن تسميتها بالبنيات الذهنية للأفعال الكلامية التي تعتبر تحولا منهجيا في البحث اللغوي وتداولية الخطاب إذ تستند هذه النظرية على عدة أسس بنيوية من أهمها الحوار. لذا يعد الاستلزام الحواري من القضايا التي تناولتها التداولية، كونه محورا رئيسيا في العملية التخاطبية، بحيث يقوم هذا المبدأ على عنصرين اثنين هما: المتكلم والسامع

والجدير بالذكر أن النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، فما وجه الخلاف بين ما يقال وما يقصد في التخاطب الأدبي بين شخصيات العمل الروائي الفني؟

لعلّ الهدف من استثمار نظرية التأويل للأفعال الكلامية كأداة إجرائية لدراسة وتحليل الطبيعة التداولية للخطاب الروائي، بيانُ ما يحتويه من خصائص تتم دراستها من خلال اختيارنا بعض المقاطع لنص روائي من توقيع علي القاسمي [17] لكشف مدى براعة هذا اللغوي في إدارة الخطاب الروائي الأدبي وهو المعروف بدراساته المصطلحية والمعجمية والمستشار العام لصناعة المعجم التاريخي بالدوحة حاليا.

وتأسيسا على ما سبق، سيكون تحليل الخطاب الروائي من منطلق الحوار الأدبي ذلك الهيكل البنائي العام الذي تبنى عليه نظرية الأفعال، وربما الإشكال المطروح هو: هل الحوار هو فعل كلام؟ ثم كيف يكون التلفظ معنى يوافق الفعل/العمل؟ وهل يقول السارد في الرواية ما يفعل أم أنّه يفعل ما يقول؟ أتكفي الملفوظات أو الجمل بوصفها وحدات صغرى في تحقيق عملية التواصل وفعالية الحوار؟

للوقوف على تداولية التأويل للخطاب الروائي، لا بأس من التعرض أولا للآليات اللسانية، ثمّ التداولية للتأويل كما تمثلها النص المختار عينة للدراسة ومن ثم فهمهما وتفسيرهما؛ لاستكشاف أدوارهما الدلالية والتداولية في البنية اللغوية، و إبراز أثرهما في السلوك الاجتماعي لمستمعي ومنجزي الخطاب.

أ.الآليات اللسانية

لكل فعل إنجازي صيغة لغوية صريحة تقتضيه؛ فـ"الأفعال الدالة على الحكم (Verdictifs)" لها صيغها الخاصة ، وتقوم على الإعلان عن حكم تأسس على البداهة مثل: إخلاء السبيل، واعتباره كالوعد، وكذلك الحال مع "الأفعال الكلامية الدالة على الأمر(Exercitifs)"، التي تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، وقاد، دافع عن، ترجّى، وطلب... الخ و"الوعد (Promissifs)" وهي أفعال التكليف وتلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، نحو: وعد، تمنّى، والتزم بعقد، وأقسم، و الدالة على "السلوك (Comportatifs)" ويتعلّق الأمر بردود فعل تجاه سلوك الآخر، مثل: استأذن، اعتذر، شكر، هنّأ...الخ، و"العرض (Expositifs)" تلك التي تستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أقرّ، أنكر، أجاب، وأكّد...؛ إذ لكل صنف صيغ لغوية تحقِّق الفعل الإنجازي المراد.

والتأويل الكلامي ينطلق من ذلك؛ فمعرفة القوة الإنجازية لهذه الأصناف من الأفعال الكلامية يتجلّى بوضوح في النص التالي:

"بعد بضعة أيام، دخلت الطالبة أثيرة مكتب الدكتور سليم الهاشمي في الكلية بعد الدرس الذي ألقاه.

ألقيتِ التحيّة، يا أثيرة، وجلستِ بشيءٍ من الوجل والخجل على الكرسيّ أمامي، بقيتِ صامتةً بعض الوقت. وتبادر إلى ذهني أنّك ترتابين بي، وتحترسين منّي، كما لو كنتُ أحمل جرثومة تنتقل عدواها بمجرّد الكلام.

ولكي أشجِّعك على الكلام، سألتكِ:

– هل أنتِ من الرباط؟

– لا، فاس..

– لا توجد جامعة في فاس، ولهذا فأنتِ بعيدة عن الأهل.

هززتِ رأسكِ موافقة.

–هل يؤثر ذلك على دراستِك أو استيعابك الدروس؟

وظللتِ صامتةً، يا أثيرة. فقلتُ محاولاً مواصلة الحديث:

– لاشكّ في أنّك تحنّين إلى الأهل في فاس وإلى مدينة فاس، فقد سمعتُ أنّها مدينة عريقة، جميلة بأهلها وبمعاهدها العلمية الشهيرة.

كان في عينيك حزن لا يضارعه إلاّ بؤسي، والأحزان تتجاوب مع بعضها كما تتناغى الطيور المهاجرة الباحثة عن الدفء والحنان. وتهبَّ في نفسي رغبة خفيّة تدفعني إلى مدِّ يد العون إلى غريقٍ مثلي، غريقٍ يتشبّث بغريق. رغبة في معرفة أسباب الحزن المحنّط في عينيك، والأسى المتشقّق على شفَتيك.

كانت الشفة السفلى ممتلئة ومنفرجة قليلا فيها دعوة مكتوبة للتهامس، وكان يراودني وهْمٌ في قدرتي على شفائك من ذلك الحزن، وينتابني في الوقت ذاته خوفٌ من الإخفاق، وكم من مرّة يقف الطبيب عاجزاً في تحقيق الشفاء حتّى لَو استطاع تشخيص الداء. هل كان شعوري نحوكِ جوابًا عن إشكاليّة وجودي؟!" [18]

وضمن مساق الحديث عن فصائل الجمل ومتوالياتها، يشار في التداولية إلى تمييز آخر بين الفعل الكلامي المباشر (الصريح)، والفعل الكلامي غير المباشر(الضمني)، فاستنادا لهذه الثنائية الضدية يطرح السؤال التالي: كيف يتسّنى للمتكّلم أن يقول شيئا يصوغه في عبارة خاصة وهو يقصد به شيئا آخر؟ ثم أّنى للمخاطب أو المستمع للخطاب أن يفهم في أي حال من الأحوال ما لم يصرح به المتكّلم؟ بمعنى؛ كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المراد أو المستلزم خطابيا؟ وكيف يمكن ضبط ومعرفة المعنى الذي تخرج إليه صيغة معينة من الصيغ الجملية، نحو الاستفهام، الأمر، والنداء...الخ فما طبيعة العلاقة بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم من القول؟

يرى أصحاب نظرية الأفعال الكلامية أن طبيعة الدلالة التي تقوم عليها القوة الإنجازية مستمدة من الاستعمال، ولذلك ميزوا بين معنى الجملة ودلالة منطوق المتكلم، ف:"معنى الجملة هو بالكامل مسألة أعراف اللغة " [19]؛ أي معاني الكلمات كيفيات تركيبها في التأليف اللغوي المعين أما دلالة المتكلِّم فترتبط بمقصد ما ضمن حدود معينة؛ "لأّنك لا تستطيع أن تقول أي شيء وتعني كل ما يحلو لك" [20]

وبالعودة لرواية علي القاسمي التي نسعى من خلالها توضيح المفاهيم والمقاصد التي وردت في ثناياها، لتأويل الخطاب وفك مغالقه حين قال:" ذكّرني المطر بيوم ممطرٍ آخر كان بداية النهاية لقصة حبّي الأوّل، أنا ووداد، كنّا جالسين في حديقة الكليّة ذلك اليوم، تحت أغصان شجرة صفصاف وارفة، حين أخذت الغيوم تتلبّد في السماء منذرةً بالمطر، لاحت منّي نظرةٌ إلى وجهها، بدا لي أنّ اللون الورديَّ أخذ يغيض منه، وتطفو عليه صفرة مقلقة، تماما كما تذوي وردة عُبَّاد شمس غابت عنها الشمس.

سارع يسألها:

- ما بكِ، يا وداد؟

- لا شيء، لا شيء. ماذا كنت تقول؟

- لا أخبريني، وداد، لا تخفي عنّي شيئًا.

- لا شيء، يا سليم...مجرّد وجع في أحشائي.

ثمّ أضافت بضحكة قصيرة متشنِّجة:

- لعلّني حامل.

- ستكونين ثاني عذراء في التاريخ تلد، بعد السيدة مريم.

- مجرّد تعبير عن أماني القلب. قل لي، سليم، كم طفلا تريد منّي بعد الزواج؟

- دزينة كاملة، حتّى لا يبقى في المنزل موضعٌ لكِ، وهكذا تأوين إلى قلبي" [21]

استطاع التداوليون التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة التي تطابق قوّتها الإنجازية مراد المتكلّم؛ أي أنّ ما يقال هو مطابق تماما لما يُعنى، والأفعال غير المباشرة التي تخالف فيها قوّتها الإنجازية مراد المتكلّم، ولا يمكن للمخاطب أن يتوصّل إليها إلاّ عبر عمليات ذهنيّة استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد، وهذه المراحل الاستدلالية التي يمرّ بها الذهن هو ما تركز عليه الدراسة التداولية.

ومن أمثلتها في رواية مرافئ الحب السبعة ما جاء نصّه في هذا المقتطف:

"في سريري البارد، أنا الملك المتوج، أتمدّد على عرش الغربة، يحيط بي رعاياي: الهمّ والسهاد والأرق كلّ ليلة، حتّى إذا مللتُ صحبتهم وعييتُ من حضورهم انصرفوا، لتحاصرني جيوش الكوابيس في منام الوحدة، لا ينسحب منها جيش حتّى يحلّ محلّه جيشٌ أكثر عدّةً وأكبر عددا" [22]

إنّ الضمائر الموظفة في هذا المقتطف الروائي وبصورة إجمالية تشير إلى أنّ هناك أمرا ما مخالف تماما للحقيقة، فالمتحدث حين قال:(أنا الملك المتوج أتمدد على عرش الغربة...) ليس ملكا بالمعنى الحقيقي للملك، ولكنّها إشارة لا مباشرة لمحنته خلال تعيينها في قول سابق بواسطة تعبير إحالي مختلف ظاهريّا؛ إذ نجد هذه الضمائر الدالة على الغيبة في مثل: الهاء(هو، هي)، هم، وما شابه ذلك وكلها ضمائر منفصلة مفيدة لتصوير الوضع الحزين والوحيد – الإنسان الذي يعيش غريبا عن الأهل والوطن- فلم يجد غير الهم والسهاد والأرق والكوابيس رفقة ورعايا له في مملكة الغربة والاغتراب تلك، فأشار إليها بمثل هذه الإشارات النصية غير المباشرة.

جاء في حوار بين سليم وأحد رفاقه ما نصه:

"التفت إليك وقلت:

- بلادكم جميلة رائعة، أثيرة.

أجبت بنيرة حزينة:

-ولكنّ الأغنياء والسياح الأجانب فقط هم الذين يستمتعون بها، أمّا معظم الناس فيعانون الفقر، ويرزحون تحت وطأة الجهل والمرض.

صَمَتُّ قليلا ثمّ قلتُ:

-مادام للشباب أمثالك هذه المشاعر النبيلة، فإنّ مستقبل البلاد سيكون بخير.

ولكي أغيّر الموضوع، سألتك كيف ينبغي أن أخاطب والدك الكريم، لأنّني كنت أعلم بأنّه من الفقهاء العلماء. قلتِ:

- لا كن طبيعيّا معه، لقد فقد بصره مؤخّرا، ولكنه حين يصافح شخصا أوّل مرّة، يشعر ما إذا كان هذا الإنسان طيّبا أو شرّيرا. فإذا أحسّ بأنّه طيّب، ظلّ قابضا على يده، وإلاّ فإنّه يطلقها مع دفعة خفيفة، وكأنّه يرفض الشخص نفسه.

قلت:

-فقد بصره فتعاظمت لديه حاسة اللمس لتعوّض الفقدان،

فالحواس ينوب بعضها عن بعض، وهذا ما يسميه أهل التصوّف "تراسل الحواس".

وأردت أن أتغزّل بك بطريقة غير مباشرة، فأضفت قائلا:

-وأحيانا يصبح السمع مرهفا لدى الضرير ليقوم مقام البصر. ومن هنا قال الشاعر الأعمى بشّار بن برد:

يا قومُ أُذُني لبعض الحيّ عاشقة والأُذنُ تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا ترَى تَهْذِي؟ فقلت لهم: الأُذنُ كالعين تُوفِي القلبَ ما كانا

نظرت إليّ بارتياب كأنّك أدركْتِ قصْدِي، وقلْتِ مازحةً:

-آمل أنّك تعشق المرأة بكلّ حواسك وجميع جوارحك، وليس بعينيك الذكيتين فقط.[23]"

إن التعابير المفردة – كما نرى في هذا الخطاب لا تنتج في عزلة عن بعضها بعضا لكي يتم تفسيرها كأفعال كلامية مفردة بحسب إطارها الاجتماعي، وإنما تجتمع في أدوار حوارية متكاملة تؤلف المحادثات التي يمكن النظر إليها كما لو أن لها حياة قائمة بذاتها تعلو عن التعابير المفردة التي تنتج عن المتحادثين [24]

لكن السؤال الطروح: ما هو الخطأ في هذه المحادثة؟ لنبدأ بالتمعن جيدا في ما هو صحيح فيها، لنكشف الحقائق التالية:

- أ: الكلمات جميعها تحمل معنى واضحا سليما.

- ب: الجمل قواعدية وسليمة البناء أيضا.

- ج: كلّ جملة لها معنى سليم.

- د: الأفعال الكلامية كالأسئلة، والتصريحات، واضحة ومحددة، لكن برغم أن هناك جملا واضحة وسليمة المعنى والبناء في حوار الشخصيات إلا أن هناك أمرا شاذا في هذه المحادثة ككل.

فربما قول سليم يشكل استفهاما وتعجبا حول(كيف أخاطب والدك الكريم)، وهو يماثل أقوالا من قبيل:

- لماذا سأقابله؟ ما الجدوى من مقابلته؟

أو؛

وأنت كيف تعلمين أنني سأتصرف معه على طبيعتي؟ أليس لي أنا الحق في التساؤل والتعجب؟ ومن المنطقي أن يكون رد أثيرة سلبيا لتلك الغرابة في السؤال انطلاقا من السياق الذي ورد فيه ذلك القول فبالنظر إلى أقوال هذه الشخصية من ناحية المعنى نجدها مجرد إثباتات، ومقولات مثل هذه لا يمكن لها أن تشكل ردا سلبيا على الاستفهام الغريب، كما هو الحال إذا قال لها: هل سيسمح لي بزيارة والدك لخطبتك؟: "

أو؛

" كيف تشعرين نحوي؟ وهل في الوسع أن أتقدم لخطبتك من والدك الضرير؟"

كلا القولين لا يشكلان الرد السلبي على الاستفهام الغريب السابق؛ لذا: كيف تمكنت أثيرة من فهم رد سليم على أنّه استغراب، ورفض البوح عن مشاعره وتخوفه من لقاء والدها الضرير؟ أي؛ كيف تمكنت أثيرة من فهم رد سليم على أنّه تقرب وتغزّل بها وبطريقة عكسية كيف تمكن سليم من إفهام أثيرة حبّه وعشقه لها؟

هذا النوع من الأفعال الكلامية؛ أي رفض البوح عن المشاعر يسميه سورل بالفعل الكلامي الأوّلي، والتخوف من المقابلة بالفعل الكلامي الثانوي، ويرى سورل أن الفعل الثانوي يحمل دلالة "جانبية"، بينما الفعل الكلامي الأولي فدلالته غير جانبية[25]، وهذا ما يقودنا لطرح الانشغال التالي: كيف يتم الانتقال من فهم الفعل الكلامي الثانوي الجانبي إلى فهم الفعل الكلامي الأولي غير الجانبي ضمن البنيات الذهنية لكلّ من المتكّلم والمستمع؟

يقسم سورل تحليله التداولي لما جرى في هذا المقتطف الروائي إلى عشر مراحل هي بمثابة نسق من القواعد الاستدلالية لوصف قدرة المخاطب على استنباط واستنتاج وإدراك الفعل غير المباشر المنجز في مقام معين، وسنحاول تطبيقها على نص الحوار التالي بتصرف وتبسيطها للمتعّلم:

"- يسعدني أن ترافقني الآن لتناول طعام الغداء معا في منزلي

عندما اعتذر الدكتور سليم الهاشمي بلطف، قال له الدكتور مولاي إدريس.

- لا يمكنك الاعتذار منّي أبدا...(باسما)، لأنّي أريد أن أحدثك عن بغداد التي أمضيت فيها سنوات دراستي الجامعيّة

-: شكرا سأرافقك ؟

-: لا غرابة في ذلك، فقد كنت ألقى الكرم نفسه من قبل العراقيين في بغداد عندما كنت طالبا هناك! [26]

1- الدعوة الدكتور سليم الهاشمي على الغداء في منزل مولاي إدريس باعتباره ضيفا على المغرب واجب عربي متأصل، وإجابته الاعتذار اللطيف دليل على عدم موافقته المبدئية في مرافقته

2- أعتقد أنّ مولاي إدريس كان متعاونا في المحادثة وملاحظته تبدو في محلها.

3- الإجابة قد تكون بالإيجاب أو الرفض أو بمواصلة الحديث

4- ولكن قوله (لا يمكنك الاعتذار منّي أبدا) لا يشكل أيّ شيء مما ذكر، وتصرفه (التبسّم للآخر) إذن في غير محله.

5- من المحتمل أن يريد أحدهما قول أكثر ممّا صرح به؛ لأنّ غايته الأولية في الكلام تخالف غايته الثانوية فيه، ولا يمتلك المستمع أية وسيلة لفهم الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ إذ انعدمت لديه إستراتيجية استنتاجية تمكنه من اكتشاف الحالة التي تغاير فيها الحالة الأولية للكلام الغاية الثانوية.

6- أعلم مسبقا أنّك لن ترفض دعوتي(حين قال: سأحدثك عن

بغداد) .

7- لا يمكنه بطبيعة الحال الرفض (لا غرابة في ذلك...).

8- أحد الشروط الأولية (الحديث عن ذكريات المغربي مولاي إدريس لمّا كان طالبا ببغداد) هو القدرة على إنجاز ذلك الفعل في ظلّ شرط المحتوى الإسنادي.

9- لذا فإنّني أعلم أنه قال شيئا، وهذا يسترعي احتمال أن يتقبل الدكتور سليم دعوته أو يرفضها.

10- غايته الأولية هي إ شعار الدكتور العراقي –سليم- بعدم الاغتراب.

ـالآليات التداولية: في الوسع بيان طبيعة الآليات التداولية للخطاب الروائي من خلال "الاستلزام الحواري (Implicatures conversationnelles)" و"الافتراض المسبق (Présupposition)".

أولا-الاستلزام الحواري

يعدّ "غرايس Grice" أوّل من صاغ مبادئه الاستدلالية محاولا التفريق بين ما يُقال وما يُقصد؛ والرابط بينهما تؤمِّنه إجراءات الاستلزام الحواري انطلاقا من العمل التأويلي الذي يقوم به المؤول.

تتعدّد الحوارات وتتمايز من الصريح إلى المضمر، ومن الأفقي إلى العمودي والنصّ الذي بين أيدينا أتى كلّه على شكل حوار صريح ومباشر بين الكاتب والشخص المحاور له، ويتضح ذلك من خلال آلية السؤال والجواب والأفعال الكلامية من استفهام وتفسير وتبرير، ويعتبر الحوار من أهمّ أشكال التفاعل اللفظي وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج والمناظرة بامتياز[27]، حيث جعل يتحدث الراوي عن ماضيه الذي يعيش فيه، واقعه الذي فقد فيه كل الحب، فيأتي التساؤل في ظلّ هذا الواقع ب"كيف" فيجيب بأنّه رغم مرارة ما يعيشه في بلاد الغربة إلاّ أنّه يعيش، ثمّ يأتي السؤال "ومن تحب" يجيب موظفا حجة أخرى تمثلت في أنّ الحب ليس فقط في الجسد إنّما بالروح والجسد معا، ونلاحظ أنّ الحوار الاستلزامي يزيد في كلّ مرة من خلال طابع الالتفات من حالة لحالة، ومن مرفأ لآخر الذي أخذه نص الرواية، هذا الطابع الذي أكسبه بعدا تأويليّا عاليّا.

ومن نماذجه :

" المعلم: قل الحقّ واو على نفسك!

ولم أكن أدرك لها مدلولا.

- يا ولدي ! قل الحقّ ولا تخف!

- وطافت أمام عيني الفِكَر، ودوّت كلمات والدي مرّة أخرى:

- - الحقّ هو الحقيقة، والحقيقة هي الصدق.

- إذًا:

- أنا ضحكـــــ....

- تعال هنا! تعال!.....

- وفيما كانت الدنيا تدور في عينيّ، شعرت بقدميّ تلامسان سطح المنضدة برفقٍ لأقف عليها، وتناهى إلى سمعي صوت المعلّم الأجشّ الصارمً يصيح بحماس:

- تصفيق...تصفيق مرّة أخرى، لأنّه قال الحقيقة..فاغرورقت عيناي بالدموع " [28]

كتب سليم ما حصل له في اليوم الأوّل من المدرسة على شكل قصّة حين كان يعاقر الغربة وينادم الشوق في أمريكا، وبعث بها من هناك إلى أبيه بالبريد،...أخبره أبوه في رسالته أنّه عندما وصلته تلك القصة، جاء لزيارته الأستاذ فليح الذي صار شيخا متقاعدا آنذاك. أعطاه القصة وقال له مازحا:

- انظر ماذا فعلت بولدي.

من خلال هذا الحوار الاستلزامي بين الشخصيات، يتجلّى أنّ المعلّم حين سأل تلامذته عن من كان يضحك انتابهم نوع من الخوف، لكن الفتى الصغير سليم كان أكثرهم براءة وصدقا فلا رفع أصبعه كان يستلزم منه ذلك الفعل قول الحقيقة والاعتراف بأنّه الفاعل حتّى لا يعاقب الجميع، وعند استدعاء من قبل معلمه فليح كان هذا التصرف محط إعجاب المعلم لتلميذه الذي قال الحقيقة، فصفق عليه التلاميذ

وعليه كان القصد من وراء هذه الحادثة التي علمته كيف يقول الصدق حتّى وهو في أمريكا بديار الغربة في بلد لا يسمع فيه إلاّ لصوت القويّ، مما جعل والده يفتخر بابنه ويثني على معلمه ضمنيّا وإن لم يصرح بها في حديثه حين قال له بعد قراءته للقصة: أنظر ماذا فعلت بولدي؛ أي أنظر ماذا علمته وصنعت منه رجلا كاتبا صادقا مع نفسه ومع الآخر.

ثانيا- الافتراض المسبق: إنّ لأيّ خطاب رصيدا من الافتراضات المسبقة من سياق الحال والجزء المكتمل من الخطاب ذاته فلدى كل طرف من أطراف الخطاب رصيد من الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب[29]، وله دور فعّال في العملية التأويلية للفعل الكلامي؛ فقد يتلفَّظ المتكلِّم بأقوال يعتمد فيها على افتراضات متداولة لدى المتلقي، وهي تشكّل خلفية التبليغ لنجاح العملية التواصلية[30]، وهنا تتضح أهمية الافتراض لما يؤديه من وظيفة تواصلية.

ومن نماذجه؛ حين حكى عن طفولة الراوي، طفولة سليم فقال:" كان ذلك في يوم من أيام أيلول، وكانت أمّي قد أيقظتني في الصباح الباكر على غير عادتها:

- انهض، ستذهب هذا الصباح إلى المدرسة.

- صحيح، يا ماما؟ [31]

يظهر لنا الافتراض في أنّ الصبيّ لم يذهب من قبل إلى المدرسة.

ويبدو في سؤاله لأمه أنّه لم يكن على علم بذلك، فهي المرة الأولى التي سيذهب فيها الصبي إلى المدرسة.

وفي موقف آخر يقول الراوي على لسان سليم – الشخصية الرئيسية لهذا العمل الروائي- سائلا من كان يركب الحافلة معه:

- "هل هيجت قريحتك الصحراء؟

- ليست الصحراء، بل الاقتراب من الديار.

- سأله سليم:

- من أيّ بلدة أنت؟

- دير ياسين، دير ياسين.

كان اسمه زيدان، وكان عائدا من بغداد في طريقه إلى لبنان ..." . [32]

يبدو أنّ سليم وهو في الحافلة قد جلس بالقرب من هذا الرجل، الذي سأله وتبيّن لنا أنّه كان مغتربا بعيدا عن وطنه وأهله(الديار)، ويمكننا أن نكتشف هويته فهو من بلاد فلسطين؛ لأنّ بلدة دير ياسين هي المؤشر.

6ـ القوة الإنجازية في الخطاب الروائي وكفاءة التأويل

يقوم فعل التأويل باعتباره فعلا استدلاليّا على توظيف الآليات اللغوية وغير اللغوية بغية الوقوف على القوة الإنجازية المقصودة للحوار الروائي بوصفه أفعالا كلامية، ويقتضي هذا "الفعل الاستدلالي" تحليل الفعل الكلامي انطلاقا من "سياق الحال" الذي يرد فيه أو يقتضيه، بالكشف عن:

-النمط القولي المستعمل والاختيارات اللفظية التي وظَّفها المتكلم.

-الطريقة التي استعمل بها المتكلم قوله.

-استراتيجيات التفاعل مع المتلقي؛ ومبادئ التخاطب معه.

-المؤشِّرات اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في تنامي الفعل الكلامي.

-كيف تختلف توجُّهات القوة الإنجازية، والتي قد ترتد إلى تداخل المقاصد، أو اختلاف المستوى بين طرفي التواصل، أو غير ذلك.

وعليه فإنّ قضية تأويل الفعل الكلامي واستنباط قوته الإنجازية المقصودة تستدعي من المؤوِّل (مستمع الخطاب) كفاءة تأويلية تمكّنه من ذلك، فهذه الأخيرة تعتبر مكوِّنا فاعلا؛ بل تكاد تشكِّل النسق الذي تكوِّنه مجموعة من الأنساق، وهي متآلفة؛ إذ "تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل، وهي الملكة اللغوية والملكة المنطقية، والملكة المعرفية والملكة الاجتماعية"[33].

وتعدّ الكفاءة التواصلية أساس الفعل الكلامي،وقد تحدث عنها ديل هايمس(D.Hyms) بقوله " أنّ الكفاية التواصلية هي المعرفة بالقواعد النفسية والثقافية والاجتماعية التي تتحكم في استعمال الكلام في إطار مجتمع معين" ، ومن ضمن هذه القواعد معرفة "المقام الذي تجري فيه اللغة لكي يتمكن المتكلم من تنويع أساليب كلامه وفق ما تقتضيه المواقف والوضعيات التواصلية في المجتمع"[34].

حيث تصنّف الكفاءات المطلوبة في التأويل، وحتى في الإنتاج الكلامي، انسجاما مع التأويل وآلياته، إلى نوعين: لسانية وتداولية وبغير هذا الاعتبار يُضاف إليهما صنف ثالث وهو الكفاءة الاستدلالي [36]

أ.الكفاءة اللسانية

تمثل الكفاءة اللسانية «القدرة الظاهرة على استعمال اللغة للتعبير عن فكرة أو موقف أو شعور بأحسن صورة وأجود عبارة، وذلك بتوظيف كل ما يحمل على الإمتاع والإقناع؛ أي حسن استعمال الأدوات والكلمات والتراكيب والأساليب والتحويلات وفقا لما يتطلّبه الموقف الكلامي على خلفيات تداولية (نفسية، اجتماعية، سياسية، إيديولوجية، ثقافية وغيرها» [37] وهي تمنح المتكلم القدرة على إنتاج القول بما يؤدي المقاصد المطلوبة انطلاقا من موقف معيّن.

أمّا في المفهوم التداولي وعلاقتها بالعملية التأويلية الخاصة بالمؤول؛ فهي الكفاءة التي تخوِّل للمؤول تأويل ما يستقبله من المرسل، والذي يُستَوجب فيه شرطان أساسيان وهما: [38]

أ-على المؤوِّل أن يكون عالما باللغة المستعملة (الجانب الصرفي، والصوتي، والتركيبي والمعجمي)، ممّا يسمح له باكتشاف التأويل اللساني.

ب- يجب أن يعلم المؤوِّل أنّ لكل خاصية تنغيمية أو تطريزية معنى خاصا، ولكل صيغة صرفية ما دلالة معينة، ولكل وحدة صرفية دلالية معجمية، وأنّ تركيب هذه الوحدات إنّما يكون بحسب الأساليب، ولكل أسلوب خصائصه.

ب.الكفاءة السياقية

وهي الكفاءة الحالية لإقامة أيّ تأويل للفعل الكلامي؛ فبمعرفة ملابسات الفعل الكلامي تتم عملية الفهم والتأويل ولذلك فهذه الكفاءة امتدادٌ للكفاءة اللسانية؛ إذ لا يمكن ضمن نظرية الأفعال الكلامية عزل الفعل الكلامي عن سياقه الذي يحتضنه؛ بل لا يتحقّق الفعل الإنجازي من غير قيامه على مسرح تخاطبي ما؛ ينشئ فيه المتكلم كلامه، ويتلقاه المتلقي، فتتمّ القوة الكلامية الإنجازية، ولذلك "كما تساعدنا الكفاءة اللسانية على تحديد مؤشرات التأويل اللسانية، فكذلك نحتاج إلى كفاءة سياقية لاكتشاف مؤشرات أخرى تتعلق بالأنا والأنت وهيئات الحضور في الزمان والمكان، وهي مؤشرات تدعو إلى التأويل كلما بعثت على إلحاق متغيرات قصدية" [38]

فجوهر الفعل الكلامي الإنجازي يقوم على مدى خلق الملاءمة

بين الفعل الكلامي و"سياق الحال" الذي يُنتج فيه، وكل ذلك من أجل تأمين التأويل الناجح له، وفي هذا الصدد "يذهب بعض اللغويين إلى اعتبار معاني الكلمات جزءا لا يتجزأ من السياق الذي ترد فيه، والمقام أو الظروف المحيطة بزمان هذه الكلمات ومكانها"[40]

ج-الكفاءة الاستدلالية

تتجلى فعالية هذه الكفاءة من القدرة على خلق الفرضية التي تُوصِل إلى التأويل المطلوب في السياق المعين، فالذهن البشري يشتغل في الواقع بآليتين الواحدة تكمِّل الأخرى؛ الأولى تعتمد على حل الترميز، والثانية تقوم على الاستدلال وتعمل هذه الكفاءة على إعطاء المتلقي القدرة على طرح الفرضية التي تلائم المقصد المعين، واعتمادا من السياق الذي يجري فيه التواصل.

عملية التأويل اللغوي تخضع للممارسة التداولية، وهي عملية لإثراء الصيغة المنطقية التي تقوم على مسألتين هامتين، أوّلهما لبس الأقوال وإسناد المراجع، وذلك لوجود أسباب عدّة منها نذكر:

اللبس التداولي، وله علاقة بالإحالة التي يقوم عليها القول المعيّن، ومن ذلك الإحالة الضميرية في قول علي القاسمي:" آسف لسماع ذلك، أخشى أن لا تكون محاضرتي فاتح خير على الكليّة، إذا كان عميدها يستقيل في اليوم الأوّل ؟" [41]

فالإحالة الضميرية في: آسف لسماع ذلك، أخشى أن لا تكون محاضرتي... إحالة نصية قبلية لشيء معلوم من ومسكوت عنه في النص؛ لأنّ المحال إليه (المحاضرة) سبقت المحيل (الاستقالة)، وهذا ما يجعل متلقي الخطاب يعمل ذهنه لتأويل ما في الجمل من إحالات قبلية لفك شيفرات النص.

اللبس المعجمي، فقد يكون للكلمة (المصدر) دلالات متباينة ممّا يفتح أفق التأويل وتعدديّته، فحين يقول القاسمي في نصه :"لا يعرف سليم كيف خطر بباله، وهو يتوجّه إلى المنصة، أن يخاطب رئيس الجامعة- جامعة تكساس الأمريكية- بقوله:

- يشرفني أن أرتدي زيّا عربي الأصل

- فيرد الرئيس بنغمة الاستفهام:

- المصدر؟

- فيجيب سليم:

- دوزي معجم الملابس العربية

- فيقول الرئيس:

- شكرا، أنا أتعلّم من طلابي باستمرار

- وكأنّه يردّد مقولة الإمام أحمد بن حنبل: مع المحبرة إلى المقبرة "[42].

فالتركيب اللغوي تردّد بين تأويلين مختلفين وجائزين في ذات الآن، وبحسب المقتضى من ذلك.

-اللبس السياقي الذي يتجسّد وفق طبيعة المتلقي وثقافته ومنزلته، وهذا ما نلفيه في عنوان الرواية مرافئ الحب السبعة الذي تعددت تأويلاته بحسب متلقيه.

-اللبس التركيبي ويكون ذلك عندما يوافق الفعل الكلامي الواحد جملا مختلفة، نحو ما جاء على لسان سليم بطل الرواية: "لم تعلم سوزان أنّني أنا الذي أحتاج إلى تمر العراق. فكلّ تمرة منه أضعها في فمي تحمل إليّ عبق العراق، ونسيم نخلة أمّي، وليس بإمكان التمر الأمريكي أن ينتج المفعول نفسه. فهناك علاقة روحية بيني وبين التمر دون ألوان الطعام الأخرى. فالتمر ثمر النخلة، نخلة الله، نخلة دارنا، نخلة أمي." [43]

المثير للتنبه وعند تأويل ما جاء في هذا الخطاب الروائي أنّ سليم قد ردّ على سؤال سوزان بسلسلة من الجمل المتباينة الدلالة والمقصد، فلم يشرح لها حالة الوحدة والغربة والشوق والحنين لوطنه، بل اكتفى بالتعبير عمّا يجيش في خاطره أين كانت نفسه مشتاقة لأكل فاكهة التمر العراقي، فهناك أشياء توحي بالإحساس بالغربة والشوق للوطن الأم على الرغم مما تنتجه أمريكا من تمور وما تبيعه في أسواقها التجارية لكنّها تمور لا تضارع تمر العراق، ونخلة البيت الذي ترعرع فيه ونخلة والدته إنّه الحنين الدفين وهذا أمر طبيعي لمن عاش بعيدا عن الديار والأحبّة، "كذلك تمسَّك سليم بالنخلة، والنخلة مثمرةٌ بالقوَّة والفعل (نخلة سليم ونخلة مريم عليها السلام)، ونخلة سليم (نخلة القاسمي) هي في الميزان الوطني ميزان الوطنيّة"[44].

خاتمة

ومجمل القول، نخلص بعد هذه القراءة المبسطة في رواية مرافئ الحبّ السبعة للقاسمي جملة من النتائج البحثية، وهي:

- الأساليب الإخبارية والجمل التقريرية شكلت ثوابت نظام اللغة المستعمل عند علي القاسمي، في حين شكلت الجمل الإنجازية متغيّرات فعل التواصل.

- إنّ فعل التأويل هو عملية إنتاجية متزامنة، ومستمرة لملفوظات منجزة (باعتبارها أفعالا كلامية) في سياق اتصاليّ معيّن يفعّله الاستعمال ويوظف فيه القارئ قدراته الذهنية ومعارفه لإدراكه.

- قوّة متضمنات القول والحوار الاستلزامي رفع من تداولية تأويل الأفعال الكلامية الموجودة في الخطاب الروائي.

- نلاحظ أن شخوص هذا العمل الروائي المميّز هم من المثقفين وأنّهم في مناخ ثقافي وسياسي وعرقي مختلف، وأن حوارهم يدور حول المثاقفة وتداخل الحضارتين العربية والغربية أو الأمريكية في أبعادها السير ذاتية الفلسفية والنفسية

والوطنية.

الهوامش

1- ابن منظور(1994م)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، م11، ص:252-253.

2- مسعود صحراوي(2005م)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 2005م، ص:5.

3- فرانسواز أرمينيكو(1986م) المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، المغرب، دط، ص: 41.

4- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:26.

5- ابن فارس (1418هـ- 1988م)، معجم مقاييس اللغة، بيروت : دار الفكر، دط، ص: 287.

6- الندوة العالمية(1415هـ) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الرياض، ص:11.

7- بسام عجك(ط1418هـ)، الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، دمشق، سورية، ص: 20.

8- عبد الله علي العليان(2003م)، حوار الحضارات، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، ص:9.

9- ينظر: غنيمي محمد هلال(1973م)، النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، دار الثقافة ، بيروت 1973، ص: 658 ـ 674

10- سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة (فرنسي- عربي وعربي- فرنسي)، دار راتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص:60.

11- علية عزت عياد(1994م)، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية (ألماني- إنجليزي- عربي)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ص:34.

12- فردب ميليت(1986م)، فن المسرحية، ترجمة: صدقي حطاب، مراجعة: محمود السمرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، ص:30.

13- « Le sens est composé à la fois du sens intenté et du sens reçu » voir : Danielle Claude Bélanger (1980). La théorie du sens, résumé de lecture. Edition de l'université d'Ottawa Canada. p:123.

14- ينظر : صلاح إسماعيل(2005)، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، القاهرة الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ص43.

15- أحمد يوسف (2004)، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار المفاهيم والآليات، منشورات مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، ط1، ص:209.

16- القاضي محمد (2010م)، معجم السرديات، دار النشر محمد علي، تونس، ط1، ص: 175

17- علي القاسمي(2012م)، مرافئ الحب السبعة، الرباط.

18- علي القاسمي (2012م)، مرافئ الحبّ السبعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، ص:250، 251.

19- سورل(2006)، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف الجزائر و المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الدار العربي للعلوم بيروت، ص:206.

20- المصدر نفسه، ص: نفسها.

21- علي القاسمي، المصدر نفسه، ص:68و69.

22- علي القاسمي، المصدر نفسه، ص:250.

23- المصدر نفسه، ص:280،281.

24- ينظر: حسن مرضي حسن، مدخل إلى فهم اللغة والتفكير، الأولى للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، دط، دت، ص: 77 وما بعدها

25- ينظر:سورل، معجم التداولية المعاصر، ص:117.

26- علي القاسمي، مرافئ الحب السبعة، ص:254.

27- ينظر: أبو بكر العزاوي(1992م)، الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سلا، المغرب، العدد7، ص:110.

28- علي القاسمي، مرافئ الحب السبعة، ص:27.

29- ج براون وجورج يول(1997م)، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطي ومنير تريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ص:96.

30- Oswald Ducrot(1989), le dire et le dit, Paris édition de minuit, P:33.

31- علي القاسمي، المصدر نفسه، ص:23

32- المصدر نفسه، ص:48.

33- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص57

34- هادي نهر(2003)، الكفايات التواصلية الاتصالية، دراسات في اللغة والإعلام، الأردن، دار الفكر، ط1، ص88.

35- ينظر المرجع نفسه، ص 88.

36- ينظر: عبد السلام إسماعيل علوي (2009)، في تداوليات التأويل، مجلة الفكر العربي المعاصر، ، مركز الإنماء القومي، العدد 148، ، ص109.

37- عبد السلام عشير(2007م)، الكفايات التواصلية ، اللغة وتقنيات التعبير و التواصل، منشورات، توب ايدسيون، ط1 ، ص78.

38- ينظر : عبد السلام إسماعيلي علوي، في تداوليات التأويل، ص 109.

39- عبد السلام إسماعيلي علوي في تداوليات التأويل ، ص110.

40- موريس أبو ناصر(1990م)، إشارة اللغة ودلالة الكلام، بيروت منشورات مختارات، ط1، ص57.

41- علي القاسمي، المصدر نفسه، ص:244.

42- المصدر نفسه، ص:213.

43- المصدر نفسه، ص:137.

44- الكريوي إدريس(2014م)، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، ص:143.

المصادر والمراجع

1. ابن فارس (1418هـ- 1988م)، معجم مقاييس اللغة، بيروت : دار الفكر، دط

2. ابن منظور(1994م)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، م11

3. أبو بكر العزاوي(1992م)، الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سلا، المغرب، العدد7

4. أحمد يوسف (2004)، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار المفاهيم والآليات، منشورات مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، ط1

5. بسام عجك(ط1418هـ)، الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، دمشق، سورية

6. ج براون وجورج يول(1997م)، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطي ومنير تريكي، جامعة الملك سعود، الرياض

7. حسن مرضي حسن، مدخل إلى فهم اللغة والتفكير، الأولى للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، دط، دت

8. سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة (فرنسي- عربي وعربي- فرنسي)، دار راتب الجامعية، بيروت، لبنان

9. سورل(2006)، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف الجزائر و المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الدار العربي للعلوم بيروت

10. صلاح إسماعيل(2005)، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، القاهرة الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.

11. عبد السلام إسماعيل علوي (2009)، في تداوليات التأويل، مجلة الفكر العربي المعاصر، ، مركز الإنماء القومي، العدد 148

12. عبد السلام عشير(2007م)، الكفايات التواصلية ، اللغة وتقنيات التعبير و التواصل، منشورات، توب ايدسيون، ط1

13. عبد الله علي العليان(2003م)، حوار الحضارات، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، بيروت.

14. علي القاسمي (2012م)، مرافئ الحبّ السبعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1

15. علية عزت عياد(1994م)، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية (ألماني- إنجليزي- عربي)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر

16. غنيمي محمد هلال(1973م)، النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، دار الثقافة ، بيروت 1973

17. فرانسواز أرمينيكو(1986م) المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، المغرب، دط

18. فردب ميليت(1986م)، فن المسرحية، ترجمة: صدقي حطاب، مراجعة: محمود السمرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط.

19. القاضي محمد (2010م)، معجم السرديات، دار النشر محمد علي، تونس، ط1

20. الكريوي إدريس(2014م)، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1

21. مسعود صحراوي(2005م)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 2005م

22. موريس أبو ناصر(1990م)، إشارة اللغة ودلالة الكلام، بيروت منشورات مختارات، ط1

23. الندوة العالمية(1415هـ) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الرياض

24. هادي نهر(2003،)، الكفايات التواصلية الاتصالية، دراسات في اللغة والإعلام، الأردن، دار الفكر، ط1

25- Danielle Claude Bélanger (1980), La théorie du sens, résumé de lecture, Edition de l'université d'Ottawa Canada

26- Oswald Ducrot(1989), le dire et le dit, Paris édition de minuit